خطبة بعنوان: الوصية

يوم الجمعة: ٢٤/٠٢/١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... جعل الله عز وجل الحياة الدنيا محلًا للعمل الصالح، وموطنًا للاستزادة منه، وما من عبدٍ يموت إلا ندم على إساءته وتقصيره. روى الترمذي أن النبي ﷺ قال:((ما من أحدٍ يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون قد نزع- يعني تاب، واستعتب-)).

أيها المسلمون...ومن رحمة الله بعباده أن شرع لهم العمل الصالح في حياتهم وبعد مماتهم، فإذا عملوا العمل الصالح الدائم الذي له طبيعة الديمومة والاستمرار، فإن أثره وأجره يجري عليهم حتى بعد مماتهم. روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال:((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقةٍ جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))، و عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: ((إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم زيادةً في أعمالكم)).

أيها المسلمون... ومن هنا شرع الإسلام الوصية، ورغب فيها، وحث عليها، وبين ما تشتمل عليه من الأحكام قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ... ﴾[المائدة:١٠٦] ، وقال عز وجل: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ... ﴾[البقرة:١٨٠]

أيها المسلمون... وجاء في السنة ما يدل على مشروعية المبادرة إلى كتابتها وتدوينها، قال ﷺ كما عند البخاري ومسلم:((ما حق امرئٍ مسلم له شيءٌ يوصي به يبيت ليلةً، أو ليلتين إلا ووصيته مكتوبةٌ عنده)).

وإهمال الوصية، والإعراض عنها، وتعطيلها من علامات الحرمان .عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: ((المحروم من حُرِم وصيته))، والوصية وكتابتها وتدوينها من علامة الحزم والكياسة. قال الشافعي رحمه الله:" من صواب الأمر للمرء أن لا تفارقه وصيته".

أيها المسلمون... والوصية تكون واجبة عندما يكون على الإنسان حقوقٌ من ديونٍ، وكفاراتٍ، وودائع، فيجب عليه أن يكتب ذلك كله، ويدونه على وجه التفصيل؛ إبراءً لذمته، وتكون الوصية مستحبة عندما لا يكون على الإنسان حقوقٌ أو واجبات، لكن يُشرع له أن يوصي بشيءٍ من ماله في أعمال الخير.

أيها المسلمون... وإذا كان ما سيورثه الإنسان قليلًا، وكان ورثته محتاجين إليه، فإن السنة ألا يوصي به في أعمال الخير. روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال:((إنك إن تدع ورثتك أغنياء خيرٌمن أن تدعهم فقراء عالةً يتكففون الناس))، وإذا كان عند الإنسان شيءٌ كثيرٌ سيخلفه، أو كان قليلًا ولكن ورثته لا يحتاجون إليه فإن السنة والمتعين في حقه أي يوصي بشيءٍ من ماله في أعمال الخير، لكن بشرط أن لا يزيد ذلك على الثلث؛ لقوله ﷺ :((الثلث، والثلث كثير)).

أيها المسلمون...انتفعوا بأموالكم في حياتكم، فإن بعض الناس يبذل وقته وجهده في جمع المال، فلا هو ينتفع به في التوسعة على نفسه أو عياله في حال حياته، ولا ينتفع به ببذله في سبيل الله وإنفاقه في وجوه الخير، ثم هو يخلفه لورثته من بعده، وقد يبخلون عليه بصدقةٍ طيبةٍ، بل حتى بدعوةٍ صالحة. جاء عند البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سئل عن أي الصدقة أفضل قال ﷺ :((أن تصدق و أنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر، وتأمل الغنى، وليس إذا بلغت الروح الحلقوم قلت لفلانٍ كذا، ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلانٍ كذا))

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ* وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون:١٠-١١]، وعند أبي داوود وابن حبان أن النبي ﷺ قال:((يتصدق المرء بدرهمٍ في حياته خيرٌمن أن يتصدق بمائةٍ عند موته)).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله منا ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار –عياذًا بالله-.

واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.